الفصل الثالث
مسائل تتعلق بالملائكة

أوردها الحافظ السيوطى فى كتابه "الحبائك فى أخبار الملائك"[1]

المسألة الأولى

قال المهلب فى حديث الملائكة: تصلى على أحدكم ما دام فى مصلاه الذى صلى فيه ما لم يحدث، تقول اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، معناه أن الحدث فى المسجد خطيئة يحرم المحدث استغفار الملائكة ودعاءهم المرجو بركته، وقال ابن بطّال[2]: من كان كثير الذنوب وأراد أن يحطها عنه بغير تعب فليغتنم ملازمة مكان مصلاه بعد الصلاة ليستكثر من دعاء الملائكة واستغفارهم له فهو مرجو لإجابته لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾[3].

قال صاحب الفروع فى الحنابلة[4]: ظاهر كلام الأولين أن غسل الميت لا

---

(١) انظر مخطوطة باريس رقم ١٣٨٩، الصفحات ٣٧ – ٤٦.
(٢) المتوفى سنة ٤٤٩هـ.
(٣) سورة الأنبياء، ٢١.
(٤) فروع ابن مفلح الحنبلى، المتوفى سنة ٧٦٣هـ.

يكفى من الملائكة، وفى الانتصار: يكفى أن علم، وكذا فى تعليق القاضى[1]، واحتج بغسلهم لحنظلة وبغسلهم لآدم عليه السلام، ولم تأمر الملائكة ولده بإعادة غسله، وبأن سعدًا لما مات أسرع عليه السلام فى المشى إليه فقيل له: إن كنت لتقطعنا، يعنون فى السرعة، فقال: خشيت أن تسبقنا الملائكة إلى غسله كما سبقتنا إلى غسل حنظلة! قال: ويدل أنها لو لم نغسل حنظلة لغسله، ولكن غسلها قائم مقام غسله وأنها لو سبقت إلى سعد سقط فرض الغسل وإلا لم تبادر إليه؛ لأنه كان عليه غسله بعد غسلهم له، وكذا ذكره بمعناه صاحب المحرر وغيره.

المسألة الثانية

قال القاضى أبو يعلى الحنبلى[2]: لا قدرة للحسن على تغيير خلقهم والانتقال فى الصور، وإنما يجوز أن يعلمهم الله تعالى كلمات وضربا من ضروب الأفعال إذا فعله وتكلم به نقله الله من صورة إلى صورة أخرى فيقال: إنه قادر على التصوير والتخييل على معنى أنه قادر على قول إذا قاله ونقله قلبه عن صورة إلى صورة أخرى مجرى العادة، وأما أن يصور نفسه فذلك محال؛ لأن انتقالها عن صورة إلى صورة إنما يكون بنقص البنية وتفريق الأجزاء، وإذا انتقلت بطلت الحياة واستجاز وقوع الفعل من الجملة وكيف تنقل نفسها، قال: والقول فى تشكيك الملائكة مثل ذلك، والذى روى أن إبليس تصور فى صورة سراقة، وأن جبريل تحول فى صورة دحية محمول على ما ذكرنا، وهو أنه أقدره الله على قول قاله فنقله الله من صورة إلى صورة أخرى. انتهى.

---

(١) التعليقة الكبيرة فى مسائل الخلاف للقاضى أبو يعلى بن الفراء، المتوفى سنة ٥٦٠هـ.
(٢) أبو يعلى بن الفراء المتوفى سنة ٥٦٠هـ.

المسألة الثالثة

قال إمام الحرمين[1]: نزول جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم فى هيئة رجل معناه أن الله تعالى أفنى الزائد من خلقه أو أزاله عنه، ثم يعيده إليه بعد.

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام[2]: فإن قيل إذا أتى جبريل النبى صلى الله عليه وسلم فى صورة دحية، فأين تكون روحه أفى الجسد الذى شبه بجسد دحية أم فى الجسد الذى خلق عليه له ستمائة جناح؟ فإن كان فى الأعظم فما الذى أتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل لا من جهة روحه ولا من جهة جسده، وإن كانت فى الجسد المشبه بجسد دحية، فهل يموت الجسد الذى له ستمائة جناح كما تموت الأجساد إذا فارقتها الأرواح أم يبقى حيًّا خاليًا من الروح المنتقلة بالجسد المشبه بجسد دحية، قلت: لا يبعد أن يكون انتقالها من الجسد الأول غير موجب لموته؛ لأن موت الأجساد بمفارقة الأرواح ليس بموجب عقلا وإنما هو إعادة مطردة أجراها الله تعالى فى أرواح بنى آدم، فيبقى ذلك الجسد خاليًا لا ينقص من معارفه وطاعاته شيء، ويكن انتقال روحه إلى الجسد الثانى كانتقال أرواح الشهداء إلى أجواف الطيور الخضر. انتهى.

وقال الشيخ سراج الدين البلقينى[3] فى كتابه الفيض الجارى على صحيح البخارى: يجوز أن يكون الآتى هو جبريل بشكله الأصلى إلا أنه انضم فصار على قدر هيئة الرجل، وإذا ترك هذا عاد إلى هيئته، ومثال ذلك القطن إذا جمع بعد أن كان منتفشًا فإنه بالنفش يحصل له صورة كبيرة وذاته لم تتغير، وهذا على سبيل التقريب.

---

(١) الإمام الجوينى، المتوفى سنة ٤٧٨هـ.

(٢) المتوفى سنة ٦٦٠هـ.

(٣) المتوفى سنة ٨٠٥هـ.

وقال العلامة علاء الدين القونوى[1] شارح الحاوى فى كتابه (الإعلام بإلمام الأرواح بعد الموت بمحل الأجسام): قد كان جبريل عليه الصلاة والسلام يتمثل فى صورة دحية، ويمثل لمريم بشرًا سويًّا، وفى الممكن أن يخص الله بعض عباده فى حال الحياة بخاصة لنفسه الملكية وقوة لها يقدر بها على التصرف فى بدن آخر غير بدنها المعهود مع استمرار تصرفها فى الأول، وقد قيل فى الأبدال إنهم إنما سموا أبدالًا؛ لأنهم قد يرحلون إلى مكان، ويقيمون فى مكانهم الأول شبحا آخر يشبه أجسامهم الأصلية بدلًا عنه، وقد أثبت الصوفية عالما متوسطًا بين عالمى الأجساد والأرواح، وبنوا على ذلك تجسد الأرواح وظهورها فى صورة مختلفة من عالم المثال، وقد يستأنس لذلك بقوله: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾﴾[2] فتكون الروح الواحدة لروح جبريل مثلًا فى وقت واحد بشبحه الأصلى، ولهذا الشبح الثانى ما قد اشتهر نقله عن بعض الأئمة أنه سأل بعض الأكابر عن جسم جبريل، فقال: أين كان يذهب جسمه الأول الذى يسد الأفق بأجنحته لما تراءى للنبى صلى الله عليه وسلم فى صورته الأصلية عند إتيانه إليه فى صورة دحية، وقد تكلف بعضهم الجواب عنه بأنه يجوز أن يقال: كان يندمج بعضه فى بعض، وأن يصغر حجمه فيصير بقدر صورة دحية، ثم يعود ويبسط إلى أن يصير كهيئته الأولى، وما ذكره الصوفية أحسن، ويجوز أن يكون جسمه الأول بحالة لم تتغير، وقد أقام الله له شبحًا آخر وروحه متصرفة فيها جميعًا فى وقت واحد. انتهى.

وقال العلامة شمس الدين ابن القيم[3] فى كتاب (الروح): للروح شأن غير شأن الأبدان فتكون فى الرفيق الأعلى وهى متصلة ببدن الميت بحيث إذا سلم

---

(١) المتوفى سنة ٧٢٩هـ.

(٢) سورة مريم، الآية ١٧.

(٣) ابن قيم الجوزية، المتوفى سنة ٧٥١هـ، وانظر كتاب الروح، ص٥٧ وما بعدها.

المسلم على صاحبها رد عليه السلام وهى فى مكانها هنا، وهذا جبريل رآه النبى صلى الله عليه وسلم فى ستمائة جناح منها جناح سد الأفق، وكان يدنو من النبى صلى الله عليه وسلم فيضع ركبتيه على ركبتيه ويديه على فخذيه، وقلوب المخلصين تتسع للإيمان بأن من الممكن أنه كان يدنو هذا الدنو وهو فى مستقره من السماوات، وفى الحديث فى رؤية جبريل: فرفعت رأسى فإذا جبريل صافٌّ قدميه بين السماء والأرض يقول: يا محمد! أنت رسول الله وأنا جبريل! فجعلت لا أصرف بصرى إلى ناحية إلا رأيته كذلك، وإنما يأتى الغلط هنا من قياس الغائب على الشاهد فيعتقد أن الروح من جنس ما نعهد من الأجسام التى هى إذا شغلت مكانًا لم يمكن أن تكون فى غيره، وهذا غلط محض. انتهى.

المسألة الرابعة

قال الشيخ محيى الدين بن عربى فى كتاب (الأمر المحكم)[1]: الملك إذا تطور يتمثل بمثالية فى أى صورة شاء، وتحكم عليه الصورة وتجرى عليه أحكامها، وإذا تكلم لا يتكلم إلا بما يليق بتلك الصورة، وهو باق على نزاهته وما زال عن حضرة روحانيته، والإنسان إذا تطور ظهر بأى صورة شاء، ولا تحكم عليه الصورة، وإذا تكلم من تلك الصورة تكلم بأى لغة وهو باق على حقيقة إنسانيته؛ لأنه يتطور على الصورة؛ والجنى إذا تمثل بحقيقته وتحكم عليه الصورة وتجرى عليه بأحكامها، لكن إذا قتلت تلك الصورة مات معها بكليته. انتهى.

المسألة الخامسة

قال الشيخ تاج الدين ابن عطاء الله السكندرى[2]: روى أن لله ملكًا يملأ

---

(١) رسالة "الأمر المحكم المربوط فيما يلزم أهل طريق الله تعالى من الشروط"، للشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى المتوفى سنة ٦٣٨هـ.

(٢) انظر حكم ابن عطاء السكندرى بتحقيقنا، القاهرة، ٢٠٠٠.

ثلث الكون، وملكًا يملأ ثلثى الكون وملكًا يملأ الكون كله، قال: فإذا كان هذا يملأ الكون فأين يكون الملكان الآخران؟ قال: والجواب أن اللطائف لا تتزاحم ونظيره إذا دخل فى بيت سراج فإن ضوءه يملأ البيت، فإذا أدخل فيه سراج ثان أو أكثر فإن الأنوار لا تتزاحم.

قال الإمام فخر الدين الرازى[1] فى تفسيره: اتفقوا على أن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون، وأما الجن فإنهم يأكلون ويشربون وينكحون ويتوالدون.

سئلت قديمًا عن الملائكة: هل ينامون؟ فأجبت بأنى لم أر فيه نقلا، فظاهر قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾[2] أنهم لا ينامون ثم رأيته منقولًا إلى كلام الإمام فخر الدين.

سئل الصفار من أئمة الحنفية: هل يحشر ملك الموت كما تحشر سائر الملائكة؟

قال: نعم. قيل له: أيخاف الناس منه؟

قال: لا! لأن الله تعالى قال: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾﴾[3] من الموت والزوال ولا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى. سئل الصفار أيضًا: أتكون الملائكة فى الجنة؟ قال: نعم! لأنهم موحدون به، وبعضهم يطوفون حول العرش يسبحون بحمد ربهم، وبعضهم يبلغون السلام من الله تعالى على المؤمنين كما قال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾[4].

---

(١) تفسير الرازى، ص٣١٢.
(٢) سورة الأنبياء، ٢٠.
(٣) سورة الحجر: ١٥.
(٤) سورة الرعد: ١٣.

سئل الصفار أيضًا عن الملائكة: هل يرون ربهم؟ فقال: اعتماد والدى الشهيد: أنهم لا يرون ربهم سوى جبريل، فإنه يرى ربه مرة واحدة ولا يرى بعده أبدًا.

سئل: إذا كانوا موحدين لم لا يرون ربهم؟ قال: لأن الرؤية فضل الله والله يؤتى ملكه من يشاء والله ذو الفضل العظيم. انتهى.

قلت: هذا ذكره أيضًا أبو الحسن الهروى من الحنفية فى أرجوزته كما تقدم وذكره أيضًا من أئمتنا الشيخ عز الدين بن عبد السلام، ولكن الأرجح أنهم يرونه، فقد نص إمام أهل السنة والجماعة الشيخ أبو الحسن الأشعرى فقال فى كتابه "الإبانة فى أصول الديانة" ما نصه: أفضل إثابات الجنة رؤية الله تعالى ثم رؤية نبيه صلى الله عليه وسلم، فذلك لم يحرم الله أنبياءه المرسلين وملائكته المقربين وجماعته المؤمنين والصديقين النظر إلى وجهه الكريم عز وجل. انتهى.

وقد تابعه على ذلك البيهقى فقال فى كتابه "الرؤية" (باب ما جاء فى رؤية الملائكة ربهم) أخرج الحديث السابق أول الكتاب مرفوعًا، والأمر السابق – أول جامع أخبار الملائكة ورؤيتهم ربهم عز وجل من المتأخرين العلامة شمس الدين ابن القيم وقاض القضاة جلال الدين البلقينى – وهو الأرجح بلاشك. أخرج سعيد ابن منصور فى سننه وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والبيهقى فى الشعب عن أبى مخلد فى قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾[1] قال: الملائكة قيل: يا أبا مخلد الله يقول رجال. وأنت تقول الملائكة. قال: إنهم ذكور ليسوا بإناث.

وقال الحليمى فى المنهاج ثم القونوى فى مختصره: وقد قيل إن أصحاب

---

(١) سورة الأعراف، ٧.

الأعراف ملائكة يحيون أهل الجنة ويبكون أهل النار، وهو بعيد لوجهين: أحدهما قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾، واسم الرجال الذكور العقلاء، والملائكة لا ينقسمون لذكور وإناث، والثانى إخباره تعالى عنهم بأنهم يطعمون ويدخلون الجنة، والملائكة غير محجوبين عنها كيف وبحيلولة بين الطامع وطمعه نوع تعذيب ولا عذاب يومئذ على ملك. انتهى.

قال الحليمى ثم القونوى: والجن كالإنس فى السؤال والحساب ودخول الجنة والنار، فيحتمل ألا يكون نفسهما فى الجنة مخالطة بفيض تجاورهما بل يكونوا فيها كما كانوا فى الدنيا، وهو اللائق بقسمهما لما فى تجاوز الأضداد ومخالطة بعضهم لبعض من الوحشة المنقبضة، ومما يقتضى القضاء بينهما كون الجن مخلوقين من النار والإنس من الماء والتراب، وأما الملائكة فالأشبه لا يثبت لهم عمل إذ الملك هو الذى يثبت فكان يحتاج كل ملك إلى آخر، ولا يحاسبون أيضًا إذ لا سيئات لهم وليسوا بابن ريبة يثبت من البشر، وأما الإثابة فقد قيل: إنهم يثابون برفع التكليف عنهم إذ ليسوا من أهل المطاعم والمشارب والمناكح يتوردوا موارد بنى آدم من الجنة ويحتمل أن يكون لهم وراء وضع التكليف نعمة أخرى أعدها الله لهم ولا تبلغها عقولنا، فإنه تعالى يقول: (أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر).

قال الحليمى ثم القونوى: وأما طى السماوات فيحتمل أن يطويها الملائكة طيًّا شديدًا كما يطوى السجل المكتوب فيه الحكم المبرم[1] ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾ لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾. انتهى. قلت: أخرج الحارث بن أبى أسامة فى مسنده وابن جرير عن

---

(١) مبالغة فى صيانته عن أن ينشر ولذلك قال: "يوم تشقق السماء".

ابن عباس قال: إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم، وزيد فى سعتها كذا كذا، وجمع الخلائق بصعيد وجنهم وإنسهم فإذا كانوا يوم القيامة قبضت هذه السماء الدنيا عن أهلها على وجه الأرض ولأهل السماء وحدهم أكثر من أهل الأرض جنهم وإنسهم بضعف فإذا بشرٌ على وجه الأرض فزعوا منها ثم تفاض السماء الثانية، ولأهل السماء الثانية وحدهم أكثر من أهل السماء الدنيا ومن جميع أهل الأرض بضعف جنهم وإنسهم ثم تفاض السماوات سماءً سماءً كلما قبضت سماء عن أهلها كانت أكثر من السماوات التى تحتها، ومن جميع أهل الأرض بضعف حتى تفاض السماء السابعة فلأهل السماء السابعة أكثر من أهل ست سماوات ومن أهل الأرض بضعف.

قال الحليمى ثم القونوى: اعترض بعض الزنادقة على كتابة الملائكة الأعمال وقبضهم الأرواح بأنكم رويتم أن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه كلب أو صورة ولا تصحب رفقة فيها كلب ولا جرس وأنتم تتلون: ﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ فينبغى ألا يموت من عنده كلب أو صورة أو جرس، ولا يكتب عمله وإذا دخل أحد الخلاء فهل يدخل الكرام الكاتبون معه أم لا؟ وأين يجلسون وعلى ماذا وبماذا يكتبون؟ والجواب: أن الحديث محمول على أنهم لا يدخلون بيتًا فيه شىء من ذلك، دخول إكرام لصاحبه ودعاء له وتبرك عليه ولا يمنع ذلك من دخولهم لكتابة الأعمال وقبض الأرواح ومثل هذا غير مستنكر فيما بيننا، فإن إفساد صاحب المنزل يمنع من دخول صلحاء الناس منزله مؤاخين له ومترددين عليه، ولا يمنعهم من أن يدخلوه منكرين عليه ومعيرين عليه أو مطالبين له بحق لزمه، والكلب فيه شيئان مباينان لاختبار الأخيار: أحدهما أنه سبعٌ عادٍ، والآخر أنه نجس لا يؤمن أن إناء أو بساطًا أو طعامًا من حيث لا يشعر به صاحبه أو يشعره والمصور مضاهى بتصويره خلق الله وهذا عظيم، ولذلك كان المصور من

أشد الناس عذابًا يوم القيامة على ما ورد فى الخبر، والملائكة أخوف لله تعالى من أن يصبروا على مثله، فلذلك ينصرفون عن بيت فيه الصورة؛ وأما الجرس فيقال: إن الجن تميل إليه وتجتمع عليه وفى الإبل مشاكلة للجن، وفى الحديث: "إنما خلقت من الجن" ومن ذلك نفارها فى كثير من الأوقات بلا سبب ظاهر فإنها تحمل ذلك على أن الشياطين تعرض لها فتستهويها فكان تعليق الأجراس عليها كاستدعاء الشياطين، وتأكد سبب حضورهم، فمن آثر لنفسه حضور أعداء الله تعالى واعتقد حراسته فى سفره بالجرس أو الكلب كان حقيقًا بألا يقيض الله بحراسته ملائكته وأولياءه، لكن هذا لا يمنع الموكلين به من كتابة عمله بل هو فى حال المعصية أولى بالتضييق عليه من حال الطاعة. وأما السؤال عن دخول الكاتبين الخلاء فجوابه: أنا لا نعلم ولا يقدح علمنا بذلك فى ديننا وجملة ما فيه أنهما إذا كانا مأمورين بالدخول فلا، وإن أكرمهما الله عن ذلك وأطلعهما على ما يكون من الداخل مما سبيلهما أن يكتباه منهما على ما يؤمران به والله أعلم. وأما مكان جلوسهما فقد قال تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾﴾[1]. أى عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد، ويحتمل أن يكون المراد حقيقة القعود ما استعير له اسم القعود، والله أعلم، وأما على أنهما على ماذا وبماذا يكتبان فلا علم لنا بذلك إلا إنهما يكتبان على شىء يحتمل النشر والطى لقوله تعالى: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾﴾[2] والذى خلقهم وخلق غيرهم لا يعجز أن يخلق لهم سوى الأوراق والجلود وسائر ما يكتب الناس عليه، إما بقلم يخلقه لهم مثل هذه الأقلام أو بشىء آخر بمداد وغير مداد، والله أعلم بحقيقة ذلك.

قلت: أما حديث: (لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب ولا صورة) قال

---

(١) سورة ق، ٥٠.

(٢) سورة الإسراء، ١٧.

الخطابى: المراد بالملائكة الذين ينزلون بالرحمة والبركة لا الحفظة فإنهم لا يفارقون، وأما دخول الكاتبين الخلاء فقد تقدم حديث زيد بن ثابت مرفوعًا: (إن معكم من لم يفارقكم فى نوم ويقظة إلى حين يأتى أحدكم الغداة يأتى خلاه). وحديث ابن عباس مرفوعًا: (استحيوا من ملائكة الله الذين معكم الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدى ثلاث حالات: الغائط والجنابة والغسل). يجتنب الملاك الإنسان فى موطنين عند غائطه وعند جماعة، وأنه لا تشهدك الملائك وأنت على خلائك، ولهذين الأمرين حكم الرفع، وهذا صريح فى أنهما لا يدخلان الخلاء، وفى مقدمة أبى الليث من كتب الحنفية أن أبا بكر رضى الله عنه كان إذا أراد أن يدخل الخلاء فرش رداء وقال: "أيها الملكان الحافظان على اجلسا هنا فإنى عاهدت الله ألا أتكلم فى الخلاء"، ولا يحضرنى الآن من خرجه، وأما مكان جلوسهما وماذا يكتبان قد تقدم حديث أن الله لطف بالملكين الحافظين حتى أجلسهما على الناجذين وجعل لسانه قلمهما وريقه مدادهما والناجذان أقصى الأضراس (بالضاد) وحديث: (نقوا أفواهكم بالخلال فإنها مجلس الملكين الكريمين الحافظين)، وأما مدادهما الريق وقلمهما اللسان، وقول سفيان ملكين بين نابى الإنسان، وتقدم عن على لسان الإنسان قلم الملك وريقه مداده، ولهذا الموقوف حكم الرفع فإن أخذ متأول يؤول كون اللسان قلمهما عن المراد سببًا لكتابته فكأنه كتبهما؛ لأنه يكتبان ما يلفظ به. والجواب من وجهين: أحدهما: أن الكتابة لا تختص بالأقوال فإنها يكتبان الأفعال والاعتقادات والنيات، والثانى: أن هذا التأويل وإن تأتى فى الإنسان على بعد فإنه لا ينافى كون الريق مدادهما كما هو ظاهر، وأما على ماذا فلم يرد فيه حديث ولا أثر. قال القرطبى فى التذكرة: إن قيل كيف يخاطب منكر ونكير جميع الموتى فى الأماكن المتباعدة فى الوقت الواحد فالجواب إن عظم جثتهما يقتضى ذلك، ويخاطبان الخلق الكثير فى الجهة الواحدة فى

المرة الواحدة مخاطبة واحدة بحيث يخيل لكل أحد من المخاطبين أنه المخاطب دون من سواه، ويمنعه الله من سماع بقية الموتى، انتهى. وقال الحليمى فى المنهاج: والذى يشبه أن ملك السؤال جماعة كثيرة يسمى بعضهم منكرًا، وبعضهم نكيرًا فيبعث الله إلى ميت اثنان منهم كما كان الموكل عليه للكتابة عليه ملكين، انتهى.

ورؤية الملائكة الآن ممكنة كرامة يكرم الله بها من يشاء من أوليائه، نص على ذلك الإمام الغزالى فى كتاب (المنقذ من الضلال) وتلميذه القاضى أبو بكر بن العربى أحد أئمة المالكية فى كتاب (قانون التأويل) والقرطبى فى (التذكرة) وغيرهم. ووقع ذلك لجماعة من الصحابة، وقد بسطت الكلام على ذلك فى كتاب (تنوير الملك فى إمكان رؤية النبى والملك)، أخرج الحاكم فى المستدرك عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لما رأيت جبريل لم يره خلق إلا عمى إلا أن يكون نبيًّا، ولكن أن يجعل ذلك فى آخر عمره)، وقد وقع ذلك لجماعة من الصحابة رآه، كابن عباس وعائشة وزيد بن أرقم، وقد رآه خلق منهم لما جاء يسأل عن الإسلام والإيمان والإحسان، ولم يحصل لهم ذلك، والظاهر أن المراد من رآه منفردًا به على وجه الكرامة، وأما رؤيتهم له حال مجيئه للسؤال فكانت على العموم لم يختص بها أحد دون أحد.

مسألة: سئلت هل تموت الملائكة بنفخة الصعق وبنفخة البعث؟ والجواب: نعم قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ وتقدم فى أول الكتاب أن المستثنى حملة العرش وجبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، وأنهم يموتون على أثر ذلك/ وتقدم عن وهب أن هؤلاء الأملاك الأربعة أول من خلقهم وآخر من يميتهم فأول من يحييهم، وفى حديث الصور الذى أخرجه أبو يعلى فى مسنده وأبو الشيخ فى (العظمة) والبيهقى فى (الشعب) عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ثم يأمر الله

إسرافيل فينفخ فى الصور فيصعق أهل السماوات والأرض إلا من شاء الله، فيقول ملك الموت: (قد مات أهل السماوات والأرض إلا من شئت)، فيقول الله: وهو أعلم فمن بقي؟ فيقول: أى رب! بقيت أنت الحى الباقى لا تموت، وبقيت حملة العرش وبقى جبريل وميكائيل فيقول الله تعالى: فليمت حملة العرش فيموتون، ويأمر الله العرش فيقبض الصور من إسرافيل ثم يأتى ملك الموت إلى الجبار فيقول: قد مات حملة عرشك فيقول- والله أعلم-: فمن بقى! فيقول: بقيت أنت الحى الذى لا تموت وبقيت أنا! فيقول الله: أنت خلق من خلقى خلقتك لما رأيت، فمت! فيموت، إلى أن قال: ثم يأمر الله السماء أن تمطر فتمطر أربعين يومًا ثم يأمر الله الأجساد أن تنبت حتى إذا تكاملت أجسادهم فكانت كما كانت، قال الله: ليحيى حملة العرش! فيحيون، ويأمر الله إسرافيل فيأخذ الصور، ويصعد على فيه ثم يقول: ليحيى جبريل وميكائيل! فحييان، ثم يدعو بالأرواح فيلقيها فى الصور، ثم يأمر الله إسرافيل أن ينفخ نفخة البعث، فينفخ، فتخرج الأرواح كأنها النحل، فيقول الله: وعزتى وجلالى ليرجعن كل روح إلى جسده! فتدخل الأرواح فى الأجساد، الحديث.

مسألة: وسئلت أن أرواحهم بعد الموت هل تكون فى مقر مخصوص كما ورد فى بنى آدم؟ ولم أقف على شىء من ذلك.

مسألة: وسئلت هل يدخلون فى الشفاعة العظمى؟ والظاهر، نعم! لقوله صلى الله عليه وسلم: الثالثة ليوم يرغب إلى فيه الخلق حتى إبراهيم.

مسألة: وسئلت، هل يكون مثل آدم عند القيام لرب العالمين؟

والجواب: نعم وقد تقدم قريبا فى حديث الحارث بن أبى أسامة عن ابن عباس، وورد أنهم فى الموقف يحيطون بالإنس والجن وجميع الخلائق.

وأخرج ابن أبى الدنيا فى حديث الأهوال وابن جرير وابن أبى حاتم والحاكم فى المستدرك عن ابن عباس: أنه قرأ: ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا. قال: (يجمع الله الخلق يوم القيامة فى صعيد واحد والجن والإنس والبهائم والسباع والطير وجميع الخلق، فتشقق السماء الدنيا فينزل أهلها، وهم أكثر ممن فى الأرض من الجن والإنس وجميع الخلق، فيحيطون بالجن والإنس وجميع الخلائق ثم ينزل أهل السماء الثانية وهم أكثر من أهل السماء الدنيا وأهل الأرض). الحديث.

وسئلت: هل يحاسبون وهل توزن أعمالهم.

وقد تقدم فى كلام الحليمى أن الأشبه لا يثبت لهم عمل ولا يحاسبون، وذلك يقتضى أنه لا توزن أعمالهم؛ لأن الوزن فرع من الحساب، وعن كتابة الأعمال فإن الصحف هى التى توضع فى الميزان.

وسئلت: هل يشفعون فى العصاة من بنى آدم كما يشفع العلماء والصلحاء؟ والجواب: نعم! قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾[1] وهم الملائكة وقال: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴿٢٦﴾﴾[2].

وسئلت: هل قول من قال: إنهم فى ديار فى الجنة تسمى دار الخلود والجلال هل له أصل فى الحديث أم لا؟ والجواب: لم أقف لذلك على أصل بل ولا حديث. وسئلت هل يراهم المؤمنون فى الجنة عند سلامهم عليهم أو لا يرونهم؟ والجواب: نعم يرونهم.

---

(١) سورة الأنبياء، ٢١.

(٢) سورة النجم، ٥٣.

وسئلت: أيهما أفضل جبرائيل أم إسرافيل؟ والجواب: لم أقف على نقل فى ذلك لأحد من العلماء والآثار المتقدمة متعارضة، فحديث الطبرانى عن ابن عباس مرفوعا: (ألا أخبركم بأفضل الملائكة جبريل)، وأثر وهب: أن أدنى الملائكة من الله جبريل، يدل على تفضيل جبرائيل، وحديث ابن مسعود مرفوعًا: (إن أقرب الخلق من الله إسرافيل)، وحديث أبى هريرة مرفوعًا: إن الملك الذى يليه إسرافيل ثم جبرائيل ثم ميكائيل ثم ملك الموت.

وحديث أبى سعيد مرفوعًا: إسرافيل صاحب الصور، جبرائيل عن يمينه وميكائيل عن يساره، وحديث عائشة مرفوعًا: (إسرافيل ملك الله ليس دونه شيء)، وأثر كعب: إن أقرب الملائكة إلى الله إسرافيل إلى آخره، وأثر ابن سابط: يدبر أمر الدنيا أربعة أملاك جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، إلى أن قال: وأما إسرافيل فإنه ينزل بالأمر عليهم، وحديث عكرمة بن خالد مرفوعًا: وأما إسرافيل فإن الله جعله بينه وبينهم أى وبين جبرائيل وميكائيل وملك الموت. وأثر خالد بن أبى عمران: وإسرافيل بمنزلة الحاجب. ذكر الإمام أبو منصور الماتريدى فى عقيدته: أن الرسل أوصى الله إليهم جبرائيل والأنبياء أوصى إليهم بملك آخر.

رأيت فى بعض المجاميع عن جعفر بن محمد قال: ريح الملائكة ريح الورد وريح الأنبياء ريح السفرجل، رأيت فى مجموع لأبى الحسن أحمد بن أبى الحسن على بن الزبير قال: شهد رجل عند الحارث بن مكين، فقال له الحارث: ما اسمك؟ فقال جبرائيل: قال: لقد ضاقت عليك أسماء بنى آدم حتى تسميت بأسماء الملائكة! فقال له الرجل: كما ضاقت عليك الأسماء حتى تسميت باسم الشيطان فإن اسمه الحارث! قال الشيخ كمال الدين بن الزملكانى فى كتابه المسمى (تحقيق الأولى من الملأ الأعلى): قد أطلق الإمام فخر الدين الرازى القول بأن

الملائكة رسل الله، واحتج عليه بقول الله تعالى: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾[1]، واعترض عليه بقول الله: إلى أن ﴿يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾[2]، وأجاب عنه بأن (من) للتبيين لا للتبعيض، وفى كلام غيره من العلماء منهم القاضى عياض وغيره ما يدل على أن منهم الرسل ومنهم من ليس بمرسل. قال: وكلام الإمام فخر الدين الرازى فى المطالب العاليات يقتضى ترتيبهم على درجات. قال: واعلم أن الله تعالى ذكر فى القرآن أصنافهم وأوصافهم، أما الأصناف فأعلاهم درجة: حملة العرش، المرتبة الثانية: الحافون حول العرش، المرتبة الثالثة: أكابر الملائكة منهم جبرائيل وإسرافيل وميكائيل وملك الموت، القسم الرابع: ملائكة الجنة والنار، القسم الخامس: الملائكة الموكلون ببنى آدم، القسم السادس: الملائكة الموكلون بأطراف هذا العالم. قال الزملكانى: وهذا الترتيب الذى ذكره لم أقف عليه على هذا الوجه. وقد ذكر فى التفسير الكبير أن جبرائيل وميكائيل أشرف الملائكة بتخصيصهما فى الذكر فى قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾[3]، وأن جبرائيل أفضل من ميكائيل؛ لأن الله تعالى قدمه فى الذكر على ميكائيل وسببه أنه صاحب الوحى إلى الأنبياء والعلم، وميكائيل صاحب الأرزاق، والخيرات النفسانية أفضل من الخيرات الجسمانية، ولأنه سماه روح القدس، ولأنه ينصر أولياء الله ويقهر أعداء الله. وقال الراغب[4]: كل نوع من الملائكة له مقام معلوم كما قال الله تعالى حكاية عنهم ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾﴾، وهم على القول المحتمل ثلاثة أضرب: ضرب إليهم تدبير الأجرام السماوية، وضرب إليهم تدبير الأمور والأركان

---

(١) سورة فاطر، ٣٥.

(٢) سورة الحج، ٢٢.

(٣) سورة البقرة، ٩٨.

(٤) سورة النازعات، ٧٩.

الهوائية، وضرب إليهم تدبير الأمور الأرضية، وقد نبه الله تعالى على ذلك بقوله تعالى: ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ۝٥﴾ [1] فالذين إليهم تدبير الأجرام السماوية هم المقربون المعنيون بقوله تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [2] وقال بعضهم: المقربون سبعة: إسرافيل، وجبرائيل، وميكائيل، وملك الموت، ورضوان، ومالك، وروح القدس. وأما الضرب الذين إليهم تدبير الأركان الهوائية فكالذى يأتى بصوت الرعد والذى يجرى السحاب، والضرب الذى إليهم تدبير الأرض كالملك الذى يأتى الجنين فينفخ فيه الروح، وكالحفيظ والرقيب والعتيد المعقبات فى قوله تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ﴾.

---

(١) سورة النساء، ٤.

(٢) سورة الرعد، ١٣.